رأي القدس

المهلة انتهت.. والحسم ما زال بعيداً

■ كان من المفترض ان تكون اسرائيل، وبعد اسبوعين من القصف التدميري المتواصل، والتوغل الارضي في الجنوب، قد اكملت مهمتها في تدمير البنى التحتية للمقاومة الاسلامية (حزب الله)، وهيأت الاجواء لتطبيق قرار مجلس الامن الدولي رقم 1559، ونشرت قوات متعددة الجنسيات على طول الحدود مع لبنان. فقد طلبت من الولايات المتحدة، والحلفاء العرب مهلة اسبوعين، وحصلت عليهما ولكن النتائج جاءت عكسية تماماً.

واشنطن دعت لعقد مؤتمر دولي في روما لمناقشة الاوضاع في لبنان، واختارته في هذا التوقيت بالذات، اي في نهاية مهلة الاسبوعين، لانها كانت تعتقد ان المهمة الاسرائيلية المخطط لها جيداً، ستكون سهلة، وستعطي النتائج المرجوة منها، ولهذا اجلت اي بحث في وقف اطلاق النار، او تدخل جدي من مجلس الامن في هذا الخصوص.

مؤتمر روما فشل، وانفض دون الاتفاق على اي موقف، لان جميع الدول المشاركة وقفت في خندق وقف اطلاق النار وحقن الدماء، وانقاذ ما بقي من لبنان، بينما وقفت الولايات المتحدة والسيدة كوندوليزا رايس وزيرة خارجيتها في خندق استمرار العدوان.

فشل هذا المؤتمر يعني استمرار الحرب، ربما لبضعة اسابيع اخرى، الامر الذي قد يؤدي الى توسيع نطاقها وجر دول اقليمية اخرى الى اتونها، مثل ايران وسورية.

فوقائع الاسبوعين الماضيين كشفت ان حزب الله استطاع امتصاص صدمة الايام الاولى للحرب، وتقليص خسائره الى ادنى حدودها، وانتظار الحرب البرية التي يملك خبرة طويلة وتسليحا متقدما لخوضها بكفاءة عالية، وقد بدأت النتائج تصب في صالحه. فكلما طال امد العدوان الاسرائيلي، كلما مالت الكفة لصالح المقاومة.

القيادة العسكرية الاسرائيلية تعيش حالة من الارتباك مبعثها خيبة الامل من النتائج على الارض، فقد تواضعت مطالبها من اقامة حاجز امني بعمق عشرين كيلومتراً وحتى شمال نهر الليطاني، الى مجرد كيلومترين على اكثر تقدير، ليس بسبب الحرص على اللبنانيين وترابهم الوطني، وانما بسبب العجز المطلق امام المقاومة اللبنانية الشرسة.

السيد حسن نصر الله زعيم المقاومة الاسلامية في لبنان اعلن بالامس ان انصاره سيبدأون المرحلة الثانية من الحرب، اي قصف ما بعد حيفا وما بعد بعد حيفا بالصواريخ، وهذا يعني مدناً اخرى، مثل القدس المحتلة وتل ابيب وربما بئر السبع في النقب وايلات ايضاً.

السيد حسن نصر الله لا يكذب ولا يبالغ مثل الزعماء العرب الاخرين، ومعروف عنه انه اذا قال فعل، وهو قطعاً سيفاجيء الجميع بقصف تل ابيب، مثلما فاجأهم بقصف حيفا وطبريا وصفد ونهاريا، وسيكون بذلك اول قائد عربي يقدم على هذه الخطوة الجبارة وغير المسبوقة.

اسرائيل ستخرج من هذه الحرب الخاسر الاكبر، ايا كانت نتائجها، فالمقاومة بصمودها وبحجم الخسائر التي الحقتها حتى الان بالجيش الاسرائيلي، مادياً ومعنوياً، حققت نصراً غير مسبوق، قد يؤدي الى تغيير شكل المنطقة العربية برمتها.

وقف اطلاق النار هو المخرج الاقل كلفة من هذه الحرب، وسيكون بمثابة انقاذ لاسرائيل اكثر منه انقاذا للبنان، فلم يبق شيء يمكن تدميره في هذا البلد المنكوب. بعد وقف اطلاق النار لا بد من عملية تفاوضية تؤدي الى اطلاق الاسرى في صفقة تبادل يشرف عليها الصليب الاحمر الدولي.

الولايات المتحدة اعطت اسرائيل اسبوعاً اضافياً وربما اكثر، على امل ان تنجز انتصارا معنويا ينقذ ماء وجهها، ويؤدي الى قبولها لوقف اطلاق النار، هذا الانتصار المعنوي يبدو بعيد المنال، اذا استخدمنا ما يجري حاليا من صمود في بنت جبيل من قبل قوات المقاومة كمقياس.

فالحرب بدأت بسوء تقدير لقدرات حزب الله، وستنتهي بنتائج كارثية على من اشعل فتيلها وساندها، وخاصة امريكا وحلفاءها العرب.

الزيتون والنخل والأرز !!

إنتزاع سكين الجزّار الأمريكي

د. علي محمد فخرو

■ أما وأن الأحداث المتكررة قد أظهرت أن أمريكا قد قررت أن تكون الجزّار الذي يذبح العرب والمسلمين وأن تكون السكين التي تذبح بها هي الصهيونية النازية في فلسطين المحتلة فان المنطق يفرض أن نطرح على أنفسنا السؤال التالي: إلى أين نتجه بعد الآن؟ أعتقد أن قلب وروح الإجابة تكمن في الملاحظة التالية:

إن السّاديّة الدموية التي مارسها الحلف الأمريكي ـ الصهيوني في العراق ولبنان وفلسطين هي من الحيوانية والهمجية بحيث أصبح من الضروري الرجوع إلى المربّع الأول في المواقف العربية والإسلامية مع الصهيونية. إن الجثث المتناثرة ودموع باكيها ومشاهد الأرض الليباب المحروقة قد أثبتت بصورة قاطعة أن التعايش مع الصهيونية بات أمراً مستحيلاً. فكما لايستطيع الإنسان أن يعيش في قفص واحد مع حيوان متوحش خسيس غادر فكذا الأمر بالنسبة لتعايش العرب مع الوحش الصهيوني الذي لايعرف طعماً للحياة إلا وهو يلغ في دم ضحاياه من أطفال ونساء وشيوخ عزّل. إن الصهيونية يجب أن تموت وترحل عن أرض العرب، وحتى حين موتها بيد اليهود أو بيد غيرهم لابدّ من العودة إلى الموقف العربي الأول الرافض لكل منطلقاتها وأهدافها والداعي لحصارها وعدم التعامل معها ومقاطعتها إقتصادياً وسياسياً وثقافياً وإعلامياً.

ليست القضية هي قضية مماحكة «وولدنة» وإرجاع عقارب ساعة التاريخ، ولكنها قضية رد فعل طبيعي ومنطقي للأهوال التي شاهدناها في لبنان وفلسطين. فنحن لسنا أمام حركة سياسية ولا قوة عسكرية وإنما أمام جحافل من القتلة والمجرمين واللصوص.

العودة إذن إلى فكرة الدولة الفلسطينية الديمقراطية الواحدة التي تضم اليهود غير الصهيونيين والمسلمين والمسيحيين لم تعد لغواً بل إنها الحل الوحيد والهدف الذي يجب أن يصبح غير قابل للمساومة أو التعديل في المستقبل. لقد أعطى العرب خمسة عشر عاماً لفكرة التّعايش السلمي التي سقطت نهائياً في وحل غزّة ولبنان. ولا يمكن إنعاش فكرة التعايش التي بشّر بها البعض، تم أطرّها مؤتمر مدريد، إلاّ إذا كان العرب والمسلمون قرّروا أن يكونوا الهنود الحمر الجدد. إن أيّ حل آخر للصراع العربي والإسلامي مع الصهيونية أصبح مستحيلاً، وآن الأوان أن نعمل على هذا الأساس وأن نفرض هذا التوجه على الحكومات والبرلمانات ومؤسسات الاقتصاد والثقافة والإعلام في كل الأرض العربية.

إذا كانت تلك الدماء التي سالت وكل تلك المواقف الحقيرة للأمم المتحدة ولأمريكا وحلفائها غير كافية لإقناعنا بوقف مهزلة التعايش مع الصهيونية فإننا حتماً قد فقدنا الإحساس البشري والعقل والضمير والدين.

إننا ندرك محدودية مواجهة الجيوش العربية المهمّشة لآلة أسلحة الأهوال الأمريكية، ولذا نطالب بمواقف سياسية تجعل الصهيونية تدفع ثمناً اقتصادياً وسياسياً وثقافياً ومعنوياً ويجعلها تقتنع بأن لامكان لمشروعها في أرضنا. وحتى يحين زوالها ستبقى وجوداً محتقراً منبوذاً محاصراً من كل العرب والمسلمين. لقد استسلم العرب للصهيونية بمذلّه وبلاهة، لكن الوحش الصهيوني لم يقبل أن يتعايش حتى مع ضحية عليلة ضعيفة فقفز عليها وأمعن فيها عضّاً وركلاً وتقطيعاً. وإذن فلا مناص من الخروج من القفص وإغلاق بابه والبدء بتسديد طعنات للوحش حتى يموت رويداً رويداً.

نعلم أنه في خضمّ صيحات الواقعيين العرب المستسلمين لقدر الذل والموت البطيء لأمتهم سيبدو هذا المنطق خيالاً وأفكاراً إنشائية لكن المأساة تفرض البدء ببناء مدرسة فكرية سياسية تخرج من الركام لتربيّ العرب والمسلمين على الإتجاه من جديد نحو شرب حليب الرفض التام للمشروع الصهيوني والممانعة التامة لكل الاتفاقات التي أضعفت ذلك التوجه. إن أمة لديها مقاومة حربية بطولية فدائية كتلك التي تتواجد في لبنان وفلسطين والعراق ستستطيع أن تبني في نفسها مقاومة شاملة كفؤة.

لابدّ أولاً من أخذ السكين من يد الجزّار الأمريكي.

معنى الحرب: مواجهة كبرى جديدة في تاريخ الصراع على المشرق

د. بشير موسى نافع *

(1)

تندرج العملية التي نفذها حزب الله وأسر خلالها جنديين إسرائيليين، كما العملية السابقة لها التي نفذتها حماس على مشارف قطاع غزة، تحت لائحة المواجهات التقليدية بين قوى المقاومة في فلسطين وجوارها العربي والجيش الإسرائيلي. بتجاهل العالم للمأساة الإنسانية للأسرى الفلسطينيين والعرب في السجون الإسرائيلية، وبعجز المفاوضين العرب عن إيجاد حل ناجز لهذه المأساة، درجت قوى المقاومة منذ عقود على أسر جنود إسرائيليين ومبادلتهم بأسرى عرب وفلسطينيين. ولكن القيادة الإسرائيلية، في اشتراك لا يمكن تجاهله مع الإدارة الأمريكية، نقلت المواجهة التقليدية إلى مستوى آخر مختلف تماماً. جاء الرد الإسرائيلي عاصفاً وشاملاً ومدمراً، ليطال كل زاوية وهدف ممكن في لبنان، من البشر إلى الحجر. ما توقعه المراقبون، وربما كذلك قيادة حزب الله، ان يكون هناك رد إسرائيلي انتقامي على الحزب وقواعده ومؤسساته، ومن ثم ينطلق التفاوض على مصير الجنديين الإسرائيليين والأسرى العرب والفلسطينيين. ولكن الرد الإسرائيلي على العملية لا علاقة له لا بالانتقام من الحزب وإعادة شيء من الاعتبار للجيش الإسرائيلي ولا بمصير الجنديين الإسرائيليين. هذا رد على كل لبنان، وهو رد على الفلسطينيين وعلى سورية وعلى إيران، وهو رد على العرب جميعاً.

الشروط التي وضعتها القيادة الإسرائيلية لوقف الهجوم على لبنان هي شروط تعجيزية، لابد ان تقرأ بمعزل عن مسألة أسر الجنديين الإسرائيليين. والذي يراقب حزب الله ونهجه في إدارة الأمور خلال السنوات العشر الأخيرة لم يكن يحتاج إلى توكيد جديد من السيد حسن نصرالله ليدرك ان الحزب لن يعيد الجنديين مطلقاً بلا تفاوض، حتى إن استمرت الحرب شهوراً لا أسابيع. ولذا، فقد كان الاستنتاج الوحيد الممكن من قراءة الشروط الإسرائيلية أنها شروط مبالغ فيها، وأن الدولة العبرية لن تنجح في تحقيقها. والفشل في إنجاز الأهداف المعلنة للحملة هو فشل سياسي للدولة العبرية، مهما كان حجم الدمار الذي ستوقعه آلة الحرب الإسرائيلية في لبنان. كل ما يحتاجه حزب الله هو الصمود في مواقعه. الطائرات الإسرائيلية لا تستطيع نزع سلاح حزب الله، وبدون حرب برية لا يمكن دحر مقاتلي الحزب عن الحدود، بينما تدلل نتائج محاولات الاختراق الإسرائيلية خلال الإسبوعين الأولين من الحملة على ان الحرب البرية ستكون حرباً بالغة التكاليف للجيش الإسرائيلي. فلماذا إذن تضع القيادة الإسرائيلية هذه الأهداف التعجيزية للحرب؟

التفسير الأول ان الدولة العبرية استهدفت تعميق حدة الانقسام اللبناني وخلق حالة لبنانية شعبية معارضة للحزب في أوساط المسيحيين والسنة والدروز وفي أكبر دائرة ممكنة من الشيعة. بتحميل حزب الله مسؤولية إطلاق شرارة المواجهة، يوضع الحزب في موضع المساءلة، ويمكن بالتالي للحكومة اللبنانية والقوى السياسية المعارضة للحزب، إجباره على التخلي عن مواقعه في الجنوب ومن ثم البدء في تجريده من سلاحه. وتندرج هنا أيضاً الاقتراحات الدولية والعربية واللبنانية بنشر قوات ردع دولية على الجانب اللبناني من الحدود اللبنانية ـ الإسرائيلية. ولا يمكن فهم البيان الأول للرئيس السنيورة بعد بدء الهجوم الإسرائيلي، وتصريحات زعماء من أمثال جعجع وجنبلاط وحمادة، والبيانين السعودي والمصري ـ الأردني، إلا في هذا السياق. ولكن الأمور لم تسر كما خطط لها. فاتساع نطاق الحملة، وقدرة حزب الله على الرد على الإسرائيليين، وتصاعد الحركة الشعبية العربية والإسلامية، أمور أدت إلى اتساع نطاق التعاطف الوطني اللبناني مع الحزب، وإلى إضعاف الأصوات السياسية المناهضة له، حتى إن لم يضع نهاية لها. ما قاله الجنرال عون حول ان المسألة بالنسبة للبنان لم تعد تكلفة الدمار بل الكرامة الوطنية أصبح العنوان الأبرز للمزاج اللبناني وموقفه من الحرب الإسرائيلية البشعة.

ولكن تعميق الانقسام اللبناني الداخلي ليس التفسير الوحيد. ثمة جدول اعمال إسرائيلي ـ أمريكي، مشترك ومتداخل ربما، ولكنه يختلف في أولوياته. إن كانت الأولوية الإسرائيلية هي إيقاع هزيمة ساحقة بحزب الله والفلسطينيين، وبالتالي خلق مناخ إقليمي أمني جديد تماماً، فالأولوية الأمريكية، كما عبرت وزيرة الخارجية رايس، هي تغيير المناخ الأمني والسياسي في الشرق الأوسط ككل. ما فشل الغزو الأمريكي للعراق واحتلاله في تحقيقه تريد واشنطن الآن إنجازه بالحرب الإسرائيلية على لبنان. بفعل غرور القوة من ناحية والمقاومة العراقية من ناحية أخرى، إضافة إلى سلسلة من الأخطاء الامريكية الفادحة، تحول العراق من أداة انتصار وقوة فعل إقليمية ودولية نافذة للسياسة الأمريكية إلى نقطة ضعف وتورط. وهذا ما يجعل واشنطن تعلق آملاً كبيراً على الحرب الإسرائيلية على لبنان. فمن لبنان يمكن إرسال رسالة أخيرة إلى سورية، إحضار إيران إلى مائدة التفاوض وهي أضعف وأقل نفوذاً، ويمكن أيضاً تحطيم معنويات العراقيين والفلسطينيين. هذه إذن حرب أرادها الإسرائيليون والأمريكيون (وليس حزب الله وحلفاءه كما يقال ويظن) حرباً أكبر من لبنان. وهي حرب متسعة بالمدلول السياسي لها؛ كما ان احتمالات اتساع دائرتها الجغرافية ما تزال قائمة. بهذا المعنى لابد ان تفهم الحرب باعتبارها حلقة أخرى جديدة تضاف إلى الحلقات المفصلية التي شهدها الصراع العربي ـ الإسرائيلي على فلسطين والمشرق ككل، حلقة لا تقل أهمية وخطورة عن حلقات 1948 و1967. وستكون لهذه الحرب بالتالي آثارها الكبرى على مجريات الصراع والمنطقة؛ ولن تكون الهزيمة والنصر فيها هزيمة ونصراً لطرفها المباشر، بل ستلقي ظلالها على حلفائه كذلك وعلى المشروع الذي يمثله.

(2)

واحدة من أبرز الاتهامات التي وجهت لحزب الله وللعملية التي نفذها ضد الجيش الإسرائيلي ان الحزب قامر بوطنه لبنان لصالح السياسة الإيرانية أولاً والسورية ثانياً، الذين وجهوا هذه الاتهامات لم يروا أمامهم إلا محاولة إيران إنقاذ برنامجها النووي بتفجير الشرق الأوسط كله، ومحاولة سورية العودة إلى لبنان أو التخلص من لجنة التحقيق الدولية في مقتل الرئيس الحريري وإقامة محكمة دولية. البعد السوري هو بالطبع الأكثر سذاجة؛ لاسيما ان وضع سورية في لبنان هو أفضل بعد الانسحاب السوري العسكري عما كان قبله، كما ان الحرب الحالية وضعت سورية نفسها في موقع الخطر والتهديد. المسألة الهامة في هذا الجدل ان عملية حزب الله كانت عملية تقليدية لم تخرج لا عن طبيعة الصراع بين الحزب والإسرائيليين ولا عن السقف السياسي لهذا الصراع. وحتى إن افترضنا موافقة دمشق وطهران على العملية فلابد ان كلتيهما قد فهمت العملية أيضاً كذلك. قرار تصعيد العملية إلى مستوى الحرب الشاملة كان قراراً أمريكياً وإسرائيلياً، وليس قرار حزب الله أو دمشق أو إيران. وهو ما يجعل من موضوعة الربط بين العملية والسياستين السورية والإيرانية موضوعة واهية. ولكن هذا لا يمنع ان السياسة الإيرانية باتت المستفيد الأكبر من الحرب.

السؤال هو من الذي وفر لإيران هذا المناخ المواتي، هل هو حزب الله أم السياسة الأمريكية والإسرائيلية؟

ما لا يمكن تجاهله في الخطاب العربي الرسمي الذي تتبناه عواصم مثل القاهرة والرياض وعمان هو القلق العربي المتزايد من اتساع النفوذ الإيراني في المنطقة العربية وفي المشرق ككل. برز هذا القلق باعتباره المسوغ الرئيسي للموقف السلبي الذي تبنته القاهرة والرياض (ومن قبلهما عمان) تجاه حزب الله وعمليته. كما لعب هذا القلق دوره في انفراط عقد المحور المصري ـ السوري ـ السعودي، الذي كان مركز ثقل السياسة العربية لأكثر من عقد من الزمان. سعود الفيصل، وزير الخارجية السعودي، يتحدث بوضوح عن تدخل إيران في شؤون العرب الداخلية، ووليد جنبلاط، الذي أصبح صدى لبنانياً لهذا الخطاب، وصف عملية حزب الله بأنها لا تخدم إلا النفوذ الفارسي. وفي واشنطن نفسها، يرتفع الجدل حول أخطار العلاقة السورية ـ الإيرانية والنفوذ الإيراني المتزايد في العراق؛ إضافة إلى الملف النووي الذي يقع في قلب المسألة الإيرانية من وجهة نظر الولايات المتحدة والدولة العبرية. ثمة من يرى في القلق العربي من النفوذ الإيراني مجرد محاولة لإرضاء واشنطن، وأن إيران لا تشكل خطراً على العرب، بل على الدولة العبرية. ولكن احتمال إرضاء واشنطن لا ينفي حقيقة وواقع القلق العربي، على الأقل في القاهرة والرياض، لاسيما بعد ان انهار الوضع العراقي كلياً وباتت إيران القوة الإقليمية الرئيسية في الساحة السياسية العراقية.

المشكلة في خطاب الخطر الإيراني أنه يتجاهل الدور الذي قامت وتقوم به السياسة الأمريكية في إفساح المجال لاتساع وتصاعد نفوذ الجمهورية الإسلامية. فمنذ بدأت الولايات المتحدة نهج سياسة إمبراطورية في العالمين العربي والإسلامي وهي ترتكب الخطأ تلو الآخر، وتقدم المكاسب السياسية والاستراتيجية لإيران على أطباق من ذهب. كانت إيران قد خسرت كل تواجد فعال لها في أفغانستان؛ ولكن القوة الأمريكية بادرت إلى إسقاط حكومة طالبان وتقويض سيطرتها على البلاد. وطالبان كانت خصماً معلناً لإيران، بينما ارتبطت القوى الأفغانية المعارضة لطالبان بعلاقات وثيقة بطهران. سقوط طالبان لم يوفر للقوات الأمريكية، ولا لحلفائها من الأوروبيين والأفغان، سيطرة حقيقية على أفغانستان. ومنذ بداية هذا الصيف ومساحة الأرض التي تسيطر عليها القوات الأجنبية وقوات جيش حكومة كرزاي تتقلص. وبينما تخوض هذه القوات معركة خاسرة لإلحاق الهزيمة بقوات طالبان، تحولت المنطقة الغربية من أفغانستان إلى منطقة نفوذ إيراني؛ إضافة إلى العلاقات التحالفية التي تربط قوى أفغانية سياسية بالجمهورية الإسلامية.

ولعل الوضع الفلسطيني يقدم مثالاً صارخاً على تخبط السياسة الأمريكية تجاه إيران. فبعد ان استجابت التنظيمات الفلسطينية لرغبة الرئيس الفلسطيني وضغوط الأشقاء في القاهرة وأعلنت تهدئة شاملة وطويلة في نشاطها العسكري ضد الاحتلال الإسرائيلي، ثم أخذت حماس المناخ الدولي الداعي إلى مزيد من التحولات الديمقراطية على محمل الجد، إذا بالقوى الغربية تنقلب على الديمقراطية وتفرض نظاماً من الحصار والتجويع على الشعب الفلسطيني. المبرر الوحيد لهذه السياسة التي تورطت فيها الولايات المتحدة وكل دول الاتحاد الأوروبي هو فوز حماس في الانتخابات وتشكيلها الحكومة الفلسطينية. وليس هناك من شك في أن إيران تمد يد العون لقوى المقاومة الفلسطينية؛ ولكن هذا العون أسس لعلاقة بين طهران والقوى السياسية التي تدعمها وليس لعلاقة مباشرة مع الوضع الفلسطيني كله. بفرض حالة الحصار على الحكومة الفلسطينية، وإعلان إيران استعدادها لدعم الشعب الفلسطيني وحكومته، فتحت الولايات المتحدة والقوى الغربية الساحة الفلسطينية على مصراعيها للجمهورية الإسلامية. وللمرة الأولى منذ قيام السلطة الفلسطينية أصبحت إيران مساهماً رئيسياً ومباشراً في ميزانية السلطة.

الحالة العراقية، بالطبع، لا تحتاج إيضاحاً أو تذكيراً. فمن الغزو والاحتلال، مروراً بتقويض الدولة العراقية، ووصولاً إلى تقسيم العراق عرقياً وطائفياً وتسليم مقدراته لأحزاب طائفية وعرقية، كانت الولايات المتحدة تتصرف وكأنها قوة عمياء لا تدرك حقائق التاريخ ولا الجغرافيا. والمدهش ان السياسة الأمريكية في العراق بنيت من اللحظة الأولى على أساس فصله عن محيطه العربي، وعلى أساس منع الدول العربية من التدخل في شؤونه. في هذا الفراغ الشاسع للقوة والدولة والهوية، الفراغ الذي خلقته السياسة الأمريكية في العراق، كان طبيعياً أن يتسع النفوذ الإيراني بلا عائق ملموس. من السهل بالطبع استدعاء الولاء الديني لتفسير النفوذ الإيراني في الساحتين العراقية واللبنانية؛ فالقوى العراقية السياسية المتحالفة مع طهران، كما هو حزب الله، هي أحزاب شيعية. ولكن الولاء الديني والطائفي لا يكفي لتأسيس النفوذ السياسي، بغض النظر عن طبيعة هذا الولاء، إسلامياً كان أو كاثوليكياً أو غير ذلك. النفوذ السياسي يتطلب مناخاً سياسياً مواتياً؛ والذي يصنع هذا المناخ اليوم في لبنان ليس حزب الله بل الولايات المتحدة والدولة العبرية، تماماً كما صنع في العراق. عندما يتعرض لبنان لقصف شامل ويستخدم ساحة لتصفية حسابات استراتيجية، ويكون العون الإيراني والسلاح الإيراني والدعم المعنوي والسياسي الإيراني هو الوحيد المتوفر لحزب الله، القوة المدافعة عن لبنان وشعبه ضد آلة الحرب الإسرائيلية المدمرة، فالمستفيد الرئيسي سيكون إيران. الملايين من العرب والمسلمين الذين يرون في حزب الله سوراً مانعاً لحفظ كرامتهم ومعنى وجودهم كأمة، لا يرون في إيران خصماً أو مصدر تهديد، بل قوة إيجابية تقف معهم في مواجهة العدوان والنفوذ الأجنبي. لكل هذا، وحتى إن كان هناك من مبرر للقلق العربي من النفوذ الإيراني في المنطقة العربية، فعلى العواصم العربية المعنية مراجعة واشنطن لا حماس وحزب الله.

(3)

ربما يحسب البعض ان من المبكر توقع النتيجة التي ستنتهي إليها هذه الحلقة الكبرى الجديدة من حلقات الصراع على فلسطين والمشرق، فللحروب متى اشتعلت منطقها الخاص بها، وليس هناك من يستطيع التنبؤ بالدرجة والمجال الذي ستطاله آلة الحرب خلال الأيام وربما الأسابيع القادمة. الإجلاء السريع للرعايا الأجانب من لبنان والتلكؤ غير المسبوق في التحركات الدولية لوقف إطلاق النار، والاتفاق الأورو ـ أمريكي الواسع حتى الآن على دعم السياسة الإسرائيلية (بفروق هامشية بين هذه الدولة وتلك)، يوحي بأن الحرب ستكون ضارية. ما تدل عليه تكتيكات الحرب ان الجيش الإسرائيلي يحاول تجنب الأخطاء التي وقع فيها خلال سنوات المواجهة الطويلة مع المقاومة اللبنانية بين 1982 و2000. ولكن مشكلة الإسرائيليين أنهم يواجهون مقاومة تختلف هي الأخرى عما عهدوه في عقدي القرن الماضي، سواء على مستوى التدريب أو التسليح أو الثقة بالنفس. على العموم، وبالرغم من تعقيدات الموقف ثمة عدد من المؤشرات التي يمكن الاهتداء بها في النظر إلى مستقبل هذه المواجهة الكبرى.

ليست هناك منطقة أو قضية وضعت فيها الإدارة الأمريكية الحالية يدها إلا وانتهت إلى فشل ذريع للسياسة الأمريكية. التدخل الغربي في أفغانستان ينحدر سريعاً إلى مرحلة التورط، بينما البلاد تسودها الفوضى. المشروع التغييري الشرق أوسطي الكبير الذي أريد للعراق ان يكون منطلقه وقاعدته تحول إلى حرب أهلية وساحة موت للعراقيين والأمريكيين. أما عملية السلام في فلسطين فلم يعد هناك من يؤمن بها، بما في ذلك الدول العربية الصديقة لواشنطن. كوريا الشمالية تطلق صواريخ عابرة للقارات، مؤهلة لحمل رؤوس نووية. الصين تتقدم بخطى سريعة على طريق بناء قوة اقتصادية عملاقة، يواكبها نمو عسكري استراتيجي حثيث؛ بينما تتحرك روسيا بلا موارية لبناء محيط استراتيجي جديد. فلماذا إذن سيكون لبنان قصة النجاح الوحيدة للسياسة الأمريكية؟! الحقيقة ان الأسباب المتوفرة لإفشال الحرب على لبنان أكثر بكثير من تلك التي قد تساعد على كسبها.

بعد بداية قلقة، استطاع حزب الله بالفعل استيعاب الضربات الإسرائيلية الأولى وامتصاص أثرها. طوال إسبوعين من القصف، كانت خسائر الحزب ضئيلة إلى حد كبير؛ لا تراجعت إمكانيات الحزب على الرد، ولا تراجعت قدراته على مواجهة الاختراقات البرية الإسرائيلية للمناطق اللبنانية الحدودية. وبالرغم من تباين النوايا واختلاف الأهداف، حافظ الوضع اللبناني الداخلي على تماسكه النسبي أمام بشاعة التدمير للبنان الوطن والشعب والدولة. في الوقت نفسه، تصاعدت ردود الفعل العربية والإسلامية الشعبية، بحيث باتت الحكومات التي عجزت عن الوقوف في مواجهة العدوان أو تلك التي عبرت عن مواقف ضمنية معارضة لاتجاهات المقاومة العربية في وضع بالغ الحرج. من جهة أخرى، ليست الأهداف الإسرائيلية وحدها مستحيلة التحقق، بل كذلك هي الأهداف الأمريكية. لتحقيق مجموعة الأهداف التي تسعى واشنطن وتل أبيب لإنجازها، لابد من استسلام كامل لقوى المقاومة وصمت كامل في الشارع العربي. وكلا هذين الشرطين لا يمكن تحققهما. آجلاً أو عاجلاً، سيكون على القادة الإسرائيليين الاعتراف بالعجز عن تحقيق النصر، وتنكفيء السياسة الأمريكية في لبنان وجواره على ذاتها كما انكفأت وسط فيضان الموت والدمار الذي أطلقته في العراق. الخطر المتزايد يأتي من المساعي العربية والدولية للتوصل إلى وقف لإطلاق النار مصحوب بخطوط محددة للتسوية، أي تحويل الفشل العسكري الإسرائيلي إلى نجاح سياسي إسرائيلي ـ أمريكي.

* كاتب وباحث عربي في التاريخ الحديث

نعم.. أخطأتَ يا حزب الله!

لينا زهر الدين *

■ ربما لم يكن غريبا (ولو أنه يدعو الى الاشمئزاز) موقف مجلس الأمن الدولي الذي لم يحرّك ساكناً حتى الآن ازاء الحرب التي تشنها اسرائيل منذ اسبوعين على لبنان لسبب بسيط جداً وهو أن الولايات المتحدة تهيمن على ارادة الدول المكوّنة لهذا المجلس بحيث لا يستطيع اصدار أو منع أي قرار الا بموافقتها، وبما أن اسرائيل هي الابنة المدللة للولايات المتحدة فمن السخف توقع قيام المجلس بحثّ اسرائيل على وقف عمليتها العسكرية قبل انجاز المهمة وهي: شل قدرات حزب الله بالدرجة الأولى وفرض تطبيق القرار 1559 وتالياً الافراج عن الأسيرين الاسرائيليين. وقد سمعنا السفير الأمريكي جون بولتون (صاحب الطلة البهية) يقول إن المجلس ليس بوسعه عمل أي شيء لحل المشكلة! يا سبحان الله، أصبح المجلس عاجزاً الآن عن الدعوة الى وقف حرب على حكومة تدعمها الولايات المتحدة! يا للغرابة! ولكنه قادر على الاجتماع واتخاذ قرارات بسرعة الصاروخ اذا ما تعلّق الأمر بمصلحة اسرائيل او الولايات المتحدة (كما كانت الحال بالنسبة للقرار المذكور)! وقد عزفت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس (التي لا تقل فتنة وجاذبية عن بولتون) على الوتر نفسه حين قالت إن إطلاق النار ينبغي أن يطبّق حينما تكون الظروف مؤاتية! عذرٌ أقبح من ذنب! لكأن المجازر التي ترتكبها القوات الاسرائيلية يومياً في لبنان ليست ظرفاً مؤاتياً! أهو استهتار بأرواح الغير؟ أم وقاحة واستكبار؟ أم عنصرية أم كل هذا معاً؟!

وإذا لم يكن ذلك كله غريباً علينا نحن أبناء منطقة الشرق الأوسط بحكم خبرتنا بطبيعة تعاطي واشنطن مع كل ما يتعلق بالصراع العربي الاسرائيلي، فالغريب فعلاً كان موقف مَن حسبناهم أشقاء تهمهم مصلحة لبنان ووحدته وسيادته. أقولها صراحة: المملكة العربية السعودية خذلت لبنان هذه المرّة بتحميلها مسؤولية ماجرى لحزب الله واعتبار عملية أسر الجنديين الاسرائيليين في هذا التوقيت مغامرة غير محسوبة قد تجرّ الويلات على المنطقة! فلتقل لنا السعودية والعرب أي توقيت مناسب بالنسبة لهم؟ ومنذ متى باتت المطالبة بالحق مغامرة؟ وهل الحكمة تقضي بأن يُترك أسرانا يهانون ويعذبون في سجون الاحتلال؟ ألم يتأكد لهؤلاء «الحكماء» بعد أن رأوا ما رأوه من مجازر وأعمال ابادة ترتكب بحق عائلات بأكملها في لبنان أن القصة ليست قصة «رمّانة وانما قلوب مليانة» كما يقول المثل اللبناني؟ ألم يدركوا أن اسرائيل تذرّعت بعملية أسر الجنديين الاسرائيليين لتحقيق ثأر قديم لطالما أرّقها وقضّ مضجعها؟ والا فكيف يفسَّر تدمير بلد بحجره وبشره؟ سيطلع علينا من يقول: ولماذا نعطي اسرائيل الذريعة؟ وهل اسرائيل بحاجة الى ذرائع لتسحق وتبطش؟ ألم يسمع هؤلاء الآنسة كوندي وهي تتحدث عن نية الولايات المتحدة في خلق شرق أوسط جديد؟ أو تيري رود لارسن طيب الذكر وهو يقول ان الهدف من العملية الجارية حاليا هو العمل من أجل تغيير شامل للواقع الاستراتيجي على الأرض؟

لماذا يا حسن نصرالله لم تراعِ شعور هؤلاء العرب الذين ينتظرون الموسم السياحي في لبنان بفارغ الصبر ليتحرروا من كل القيود ويرموا عاداتهم ودينهم وراء ظهورهم؟

أخطأتَ يا حزب الله لأنك فكرت في اعادة الأسير الى أمه والأرض الى أهلها والكرامة والعزة لفاقديها!

أخطأتَ يا حزب الله لأنك أردتَ أن تُظهرَ للعرب أن مازال فيهم مَن يقول «لا» لأمريكا واسرائيل!

أخطأتَ لأنك أردتَ أن تزرع شيئا من شموخ ورفعة في نفوس وعقول الأجيال الصاعدة!

أخطأتم يا رجال الله لأنكم حسبتم أنكم بشجاعتكم وبسالتكم وتصديكم لجيش من أعتى جيوش العالم سوف تنجحون في كسب تضامن الحكام العرب ومؤازرتهم لكم!

أخطأتم يا جنود الله على الأرض بدحضكم لمقولة إن جيش اسرائيل لا يُقهر.. هذه المقولة التي صدقها العرب واقتنعوا بها ورسخوها في أدمغتهم فلمَ تحاولون التشويش على قناعاتهم؟!

اذا كانت هذه هي أخطاؤك يا نصرالله فيا ليت الزعماء العرب يغرقون في الأخطاء والمغامرات غير المحسوبة!

* صحافية ومذيعة من لبنان

القدس العربي

يومية سياسية مستقلة

تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:

الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر: مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير: عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو

هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ

فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208

مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)

مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)

مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.

هاتف/فاكس: 5066089 (9626)

مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Al-Quds Al-Arabi

daily Independent News Paper

Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD

Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.

Editor In Chief

ABDEL BARRI ATWAN

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England

Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637

email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***

Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).

Tel/Fax: (202) 3901523

Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco

Tel/Fax: (212 37) 770594

Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.

Tel/Fax: (9626) 5